نهاية المطلب

في دراية المذهب

لإمام الحرمين

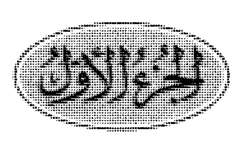
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني

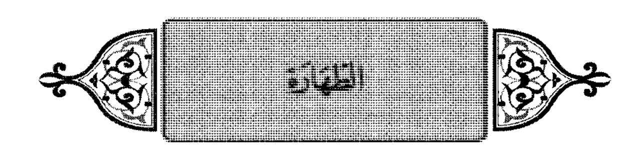
رحمه الله تعالى

(٤١٩-٤٧٨هـ)

حققه وصنع فهارسه

أ.د. عبد العظيم محمود الدّيب



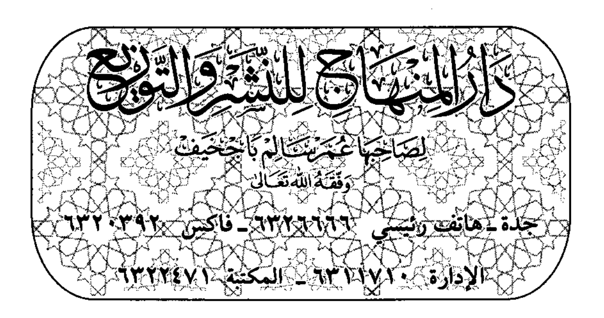






لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ١٣/٥٥٧٤/ بيروت

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com


نهاية المطلب
في دراية المذهب


بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ «نِهَايَةِ المَطْلَبِ فِي دِرَايَةِ المَذْهَبِ» الَّذِي مَا صُنِّفَ فِي الإِسْلَامِ مِثْلُهُ.

ابن خلكان

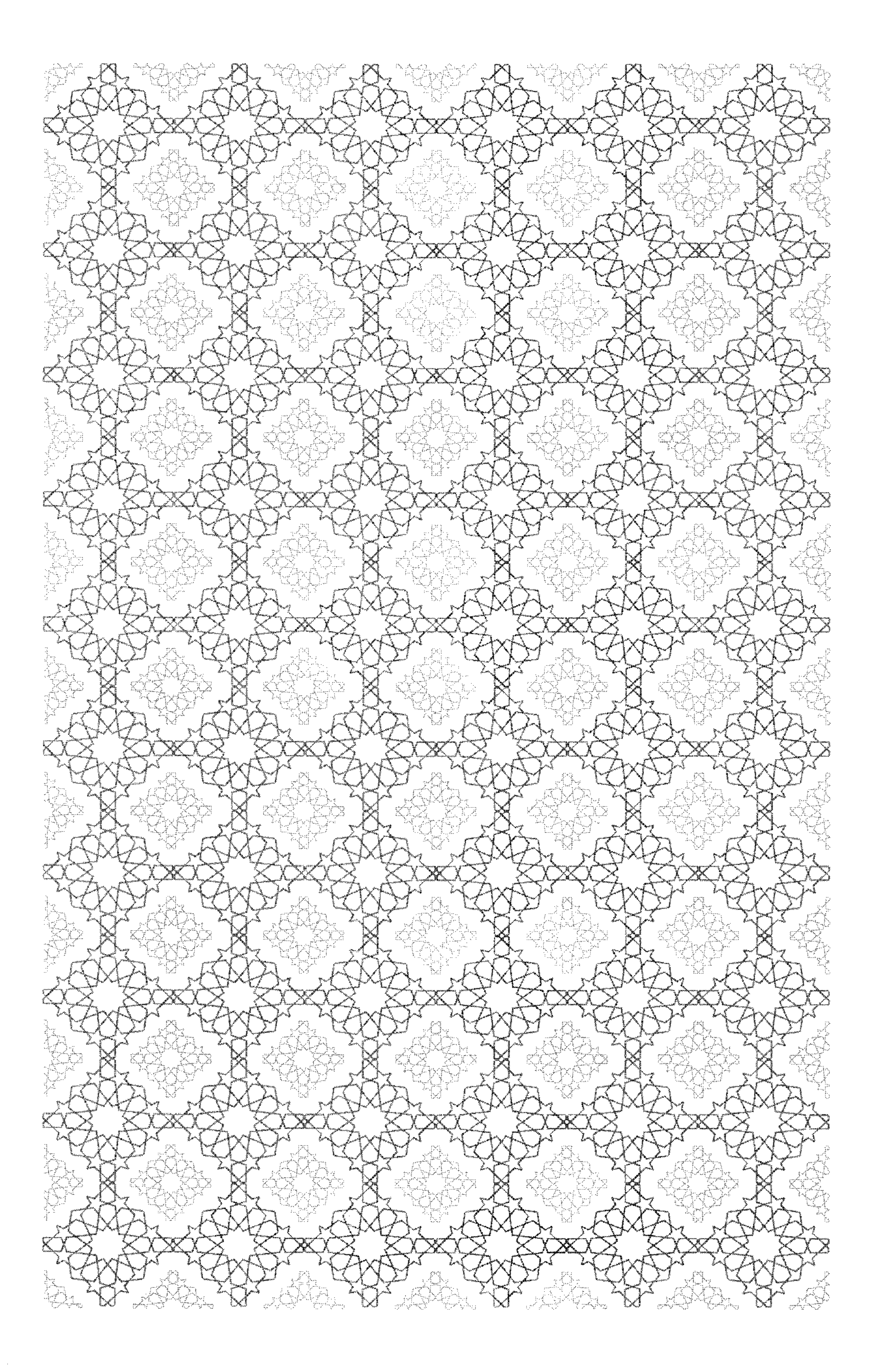
المتوفى سنة ٦٨١ هـ

استفاض بين الأصحاب وأئمة المذهب قولهم:

«منذ صنّف الإمام (نهاية المطلب)

لم يشتغل النّاس إلّا بكلام الإمام»

ابن حجر الهيتمي المتوفّى سنة (٩٧٣هـ)



بين يدي الكتاب

بقلم الدكتور
محمد عبد الرحمـٰن شميلة الأهدل

« **نهاية المطلب** » واسطة عقد المذهب ، والمنهل الروي لِعِلْم الإمام الشافعي المُطَّلبي ، وهل شيخا المذهب النووي والرافعي إلا من رواة قصائده؟! فهما اللذان غاصا في لجج « نهايته » مباشرة أو بواسطة ، وعبًّا من معين درايته فتضلعا ؛ (فكل علمٍ عندهم من رفده) .

وهـٰذا ما لا يماري فيه المحققون ، بل لهجت به ألسن أهل الاطلاع ، وكل من جاء بعده اقتفىٰ أثره ، واغترف من بحره .

والإمام الجويني عَلمٌ من أعلام الفكر الإسلامي ، أبدع في ميادين شتىٰ في أصول الثقافة الإسلامية وفروعها ؛ ولذلك لُقِّب (الإمام) .

عقدت الخناصر علىٰ فضله ، ونطقت الحناجر بتقدمه وسبقه ، وتعاضدت آراء الأوائل والأواخر مشيدة بعلو مكانته ، ومعترفة بسعة معارفه ، ونبل رأيه ، ولست في هـٰذه الأحرف معنياً بذكر نتاجه الفكري المتنوع ، ولا بإبراز خصائص تراثه ؛ فلهـٰذه كتب مستقلة ، وبحوث متعددة ، ولـٰكن أُرسل أضواء اليراعة علىٰ كتابنا هـٰذا :

« نهاية المطلب في دراية المذهب »

« فالنهاية » كاسمها عرضٌ متكاملٌ لمذهب الإمام الشافعي ، وشرحٌ مستوفىً

لآرائه ، وعمادٌ قوي لطريقته ؛ حتىٰ قال ابن حجر الهيتمي : (منذ صنف الإمام كتابه « النهاية » لم يشتغل الناس إلا بكلام الإمام)[1] .

والواقع إن « نهاية المطلب » لم يكن شرحاً لـ« مختصر المزني » فقط ، وإنما كان حاوياً وشارحاً لكتب الإمام الشافعي جميعها ؛ ولذلك اشتغل الفقهاء به بعد ظهوره وتحبيره ؛ لأنه زبدة المذهب ، وخلاصة الأسفار الأربعة التي هي أساس المذهب الجديد ، وأعني بذلك : « الأم » و« الإملاء » و« البويطي » و« مختصر المزني » ، وهـٰذا ما صرح به بعض المتأخرين ؛ إذ اعتبر أن « النهاية » اختصارٌ لهـٰذه الكتب ، وزبدة لما تحويه ، إلا أن العلامة ابن حجر الفقيه في آخرين يرون أن « النهاية » ليس إلا شرحاً لـ« مختصر المزني » خاصة .

وقد جمع محقق « النهاية »[2] بين الرأيين جمعاً حسناً متمحضاً عن اطلاع ودراية ، فقال : (قلت : كلاهما علىٰ صواب ، فمن حيث الشكل هي شرح « لمختصر المزني » ، أما من حيث الواقع . . فالإمام جمع فيها كل علم الشافعي من كتبه الأربعة) .

دور الاختصار والتهذيب

ولما أكب أهل العلم على « النهاية » باعتبارها عماد المذهب ، وزبدة كتب الإمام الشافعي . . أضحت مرجع القوم ، ومصدر المذهب ، ومعتمد الخاصة ، وكتاب الفتوىٰ ، وقام حجة الإسلام الغزالي تلميذ الإمام باختصارها في كتابه « البسيط » ، حتىٰ كان مبغضو الإمام الغزالي يقولون له : ما صنعت شيئاً ، أخذت الفقه من كلام شيخك في « نهاية المطلب »[3] .

---

(١) الفوائد المكية للسيد علوي بن أحمد السقاف (ص : ٣٥) .

(٢) هو الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب في بحث سماه « شخصية إمام الحرمين العلمية » ضمن بحوث الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني (ص : ٧٧) .

(٣) طاش كبرىٰ زاده في أواخر ترجمته للإمام الغزالي .

ثم اختصر الإمام الغزالي « الوسيط » من « البسيط » ثم اختصره ووسمه « بالوجيز » فقال قائلهم :

حــرَّر المــذهــبَ حبــرٌ أحســن الله خــلاصــه
بـ« بسيــط » و« وسيــط » و« وجيــز » و« خــلاصــه »[1]

ثم تصدَّى الإمام الرافعي لـ« الوجيز » فشرحه شرحاً وافياً ، وتوسَّع فيه تدليلاً وتعليلاً وسماه : « العزيز » ، واشتهر عند المتأخرين بـ« فتح العزيز شرح الوجيز » وربما أطلقوا عليه : « الشرح الكبير » .

وقد خرج أدلته جمعٌ من المحققين ، حتىٰ جاء خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني فلخصها ، وضم إليها نفائس حديثية في كتابه الموسوم بـ« التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير » .

ولم يقف الإمام الرافعي عند هـٰذا الحد ، بل اختصر « الوجيز » أيضاً في مجلد لطيف سماه « المحرر » .

وانبرى الإمام النووي بعده لهـٰذين الكتابين فخدمهما خدمة أهل التحقيق ، وهذبهما تهذيب أهل التدقيق ، فقد اختصر « الشرح الكبير » في كتابه الجليل « روضة الطالبين » ، كما اختصر « المحرر » اختصاراً لا يحبره إلا أمثاله وسماه « المنهاج » ، وفضله سارت بها الركبان ، وصدرت حديثاً طبعته الجديدة بعناية دار المنهاج .

فأما « روضة الطالبين » . . فقد قام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري باختصارها

---

(١) فائدة : « الخلاصة » هنا هي مختصر « مختصر المزني » واسمها : « خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر » ، وليس هو مختصر لكتاب « الوجيز » كما قد يتوهم البعض فليتنبه لذلك ، وهـٰذا الكتاب سيخرج محققاً ومطبوعاً للمرة الأولىٰ ضمن منشورات دار المنهاج بمشيئة الله تعالىٰ .

وسماه « روض الطالب » فاختصر الاسم والمسمىٰ ، وشرحه أيضاً ، كما قام غيره باختصار « الروضة » إلا أنه لم يشتهر شهرة « الروض » .

وأما « المنهاج ».. فإن شروحه وحواشيه ومختصراته تتقاعس العزائم عن تَعدادها ، واستقر الأمر أنها من الكتب المعتمدة في المذهب ، والمختارة في الدراسة ؛ لما اشتملت عليه من التحقيقات .

وبنظرة عجلىٰ إلىٰ هـٰذا التسلسل المعرفي ندرك أثر إمام الحرمين في المذهب ، بل ومنَّته علىٰ كل شافعيٍّ جاء بعده .

ودار المنهاج الفتية كعادتها سبَّاقة إلى استخراج كنوز الأوائل ، رائدة في خدمة التراث ، ولها اليد الطولىٰ في نشر العلوم الشرعية عموماً ، وفقه الشافعية خصوصاً ، ولا سيما ما كان منها مطموراً في دهاليز النسيان .

أوَلم تخرج لنا « بيان العمراني » يرفل في حلل التحقيق ، ويتهادىٰ في ثوبه القشيب؟! ولولا عزيمة صاحب الدار التي لا تعرف التقاعس ، وهمته العصامية.. لما اكتحلت أعين الفقهاء بإثمد هـٰذه الموسوعة الفقهية .

أوَلم تهد إلينا هـٰذه الدار « النجم الوهاج » للعلامة الدميري بعد أن استرخىٰ طويلاً وتراكم عليه غبار الإهمال؟!

ألم يتحفنا بـ« مختصر حلية أبي نعيم » للعلم المهذب الأستاذ الزاهد الواسطي؟! والقائمة طويلة طويلة في طول همة أبي سعيد : الأستاذ عمر بن سالم باجخيف ، أعلى الله تعالىٰ مقامه ، وبلغه مرامه ، وزاده توفيقاً وإحساناً .

وها هو اليوم يتحف الفقهاء في كل صقع بعمدة مذهب الشافعي « نهاية المطلب ودراية المذهب » لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، هـٰذا الكتاب الذي عكف عليه أرباب المذهب ، وذهبوا في مدحه كل مذهب ؛ ولعل دور الطبع أحجمت عن نشره لضخامته وعظم مؤنته ؛ بيد أن الحظَّ الأسعد منح هـٰذه الدار شرف نشره ، فأعطى القوس باريها ، فنقشت حروفه بيراعة الإبداع ، وحلّت مظهره بكل ما تختزنه

من رصيد فني ، وسكبت علىٰ طروسه محاسن خبرتها العالية ؛ ليتربع علىٰ منصة الجودة ، ويعلو سنام التميز ، ويتناغم الجَمَالان : جمال المضمون الفقهي ، وجمال الإبداع الفني في إيقاع أخاذ .

وبعد فلِلّٰهِ در محقق « **نهاية المطلب** » الدكتور عبد العظيم محمود الديب ذي العزمات الوثابة ؛ فقد اضطلع بتحقيق هٰذا المصدر المعرق في الأصالة ، وأنفق أنفس أوقاته في خدمة تراثنا الشرعي ، متمثلاً في إبراز هٰذا السفر الجليل يتهادىٰ في حلل التحقيق ، ويتراءىٰ في جودة التدقيق ، فقد قضىٰ ـ أثابه الله تعالىٰ ـ نحواً من ربع قرن في العناية بـ« النهاية » إلى النهاية ، فقابل مخطوطاته ببعضها ، وبين فوائدها وتنوعها ، وخرج أحاديثها وآثارها ، وميز صحيحها من سقيمها ، وعلَّق علىٰ ما يتطلب التعليق من غريبها وغامضها ، فما انفكت يده عنها إلا وهي تتلألأ تلألؤ النجوم في سمائها ، فتهدي الحائر في ظلمة الليل البهيم ، وأهدىٰ هٰذا السفر إلىٰ متفقهة العصر ؛ ليضاف إلىٰ ذلك الرصيد الضخم من التراث الشرعي :

هٰذي الفضائل لا قعبان من لبنٍ   شِيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فجزى الله تعالى الدكتور الديب خير ما يجزي الصالحين ، وختم لنا وإياه بالحسنىٰ ، وأثاب الناشر بما هو له أهل .

* * *



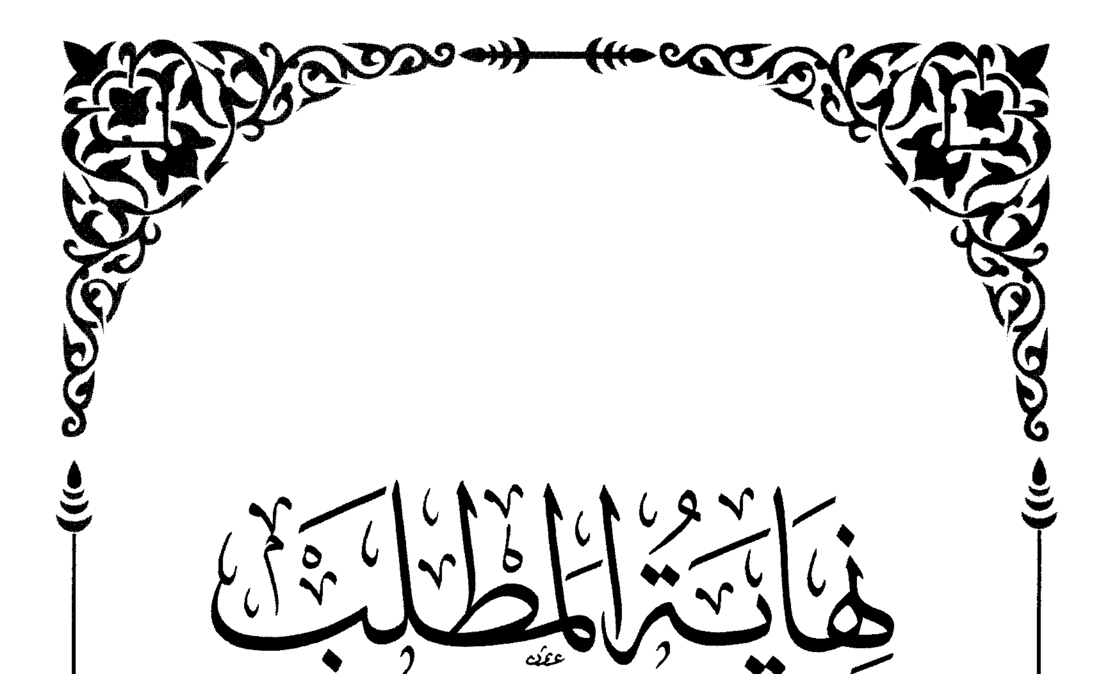
أَوّلاً :

هَذَا الكِتَابُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَلْفُ عَامٍ تَقْرِيبًا ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ ظَوَاهِرِ اللُّغَةِ وَالأَسَالِيبِ غَيْرَ مَأْلُوفِكَ ومَعْهُودِكَ ، فَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَحْمِلَ لُغَتَهُ عَلَى لُغَتِكَ ، وَلَا تُسَارِعْ بِحَمْلِ ذَلِكَ عَلَى الخَطَأ وَسَهْوِ المُحَقِّقِ وَتَقْصِيرِهِ ، فَهَذِهِ هِيَ لُغَةُ عَصْرِهِمْ ، وَهَذَا أُسْلُوبُهُمْ ، وَهُوَ صَحِيحٌ سَلِيمٌ ، وَإِنْ لَمْ يَعُدْ مَأْلُوفًا لَدَيْنَا وَمُسْتَعْمَلاً عِنْدَنَا وَلَا جَارِيًا عَلَى أَلْسِنَتِنَا .

ثَانِيًا :

إِبْرَاءً لِلذِّمَّةِ ، وَخُرُوجًا عَنِ العُهْدَةِ نُنَبِّهُ :

أَنَّ بَرْنَامَجَ الصَّفِّ اسْتَحَالَ عَلَيْهِ كِتَابَةُ الهَمْزَةِ المُتَطَرِّفَةِ المَكْسُورِ مَا قَبْلَهَا عَلَى اليَاءِ ، مِثْل : قَارِئ ، يُجْزِئ . فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ .



نهاية المطلب

في دراية المذهب

لإمام الحرمين

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني

رحمه الله تعالى

(٤١٩-٤٧٨هـ)

